

نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب

وسوء فكرة فلما تم أقطع الهجران فهو اليوم ممتنع اليوم وحط الخراب فلا حول ولا قوة إلا بالله حتى جاء أمر الله خالي الصحيفة من البر صفر اليد من العمل الصالح نعوذ بالله من نكيره ونسأله الإلهام والسداد والتوفيق والرشاد وقد بذلنا جهدنا قولا وفعلنا وموعظة ونصحا واستدعينا لتلك الجهة صدقة المسلمين محمولة على أكتاد العباد الضعفاء الذين كانت صدقات فاتحيه رضي الله تعالى عنهم ترفدهم ونوافله تتعهدهم فما حرك ذلك الجوار حلوبا ولا استدعى مطلوبيا ولا رفدا مجلوبا فإلى متى تنضى ركاب الصبر وقد بلغ الغاية واستنفد البلالة بعد أن أعاد الله تعالى العهد وجبر المال وأصلح السعي وأجرى ينابيع الخير وانشق رياح الإقالة وجملة ما نريد أن نقرره فهو الباب الجامع والقصد الشامل والداعي والباعث أن صاحب قشتالة لما عاد إلى ملكه ورجع إلى قطره جرت بيننا وبينه المراسلة التي أسفرت بعدم رضاه عن كدحنا لنصره ومظاهرتنا إياه على أمره وإن كنا قد بلغنا جهدا وأبعدنا وسعا واجلت عن شروط ثقيلة لم نقبلها وأغراض صعبة لم نكملها ونحن نتحقق أنه غما إما تهيج حفيظته وتثور إحنته فيكشف وجه المطالبة مستكثرا بالأمة التي داس بها أهل قشتالة فراجع أمره غلابا وحقه ابتزازا واستلابا أو يصرفها ويهادن المسلمين بخلال ما لا يدع جهة من جهات دينه الغريب إلا عقد معها صلحا وأخذ عليها بإعانتها إياه عهدا ثم تفرغ إلى شفاء غليله وبلوغ جهده ولا شك أنها تجيبه صرف لبأسه عن نحورها ومقارضة كما وقع باطريقة من مضيق صدورها ومؤسف جمهورها وكل من له دين ما فهو يحرص على التقرب إلى من دانه به وكلفه وطائف تكليف رجاء لوعده وخوفا من وعيده وبالله ندفع ما لانطبق من جموع تداعت من الجزر ووراء البحور والبر المتصل الذي لا تقطعه الرفاق ولا تحصى ذرعه الحذاق وقد أصبحنا بدار غربة ومحل روعة ومفترس نبوة ومطنة فتنة والإسلام عدده قليل ومنتجعه في هذه البقعة حبيب وعهده بالإرفاد والإمداد